﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النّمل: 80 - 81]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

تَرْكُ إعْمالِ آلاتِ العِلْمِ وتَصْحيحِ المَقاصِدِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبابِ الضَّلالِ

لمّا ذكَر اللهُ تَعالى أنَّ نبيَّه الكريمَ مُحَمَّدًا ﷺ على الحقِّ البَيِّن الواضِحِ الذي لا لَبْسَ فيه؛ بيَّن أنَّ انْحِرافَ مَنِ انْحَرَفَ عَن هذا القرآنِ الكريمِ لا يُنافي ظُهورَ الحَقِّ واتِّضاحَهُ؛ لأنَّ انْحِرافَ هَؤُلاءِ إنَّما لِخَلَلٍ في مَدارِكِهِم، فلم يُعْمِلوها، ولِخَلَلٍ في مَقاصِدِهِم، فَلَم يُصَحِّحوها، فقال سُبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلصُّمَّ﴾: (صمم/ صمّ) تدلُّ تصريفاتُهما على تَضامٍّ الشَّيءِ، وزوالِ الخرْق والمنافذ فيه، ومن ذلك الصَّمَمُ في الأُذن، وهو فقدان حاسَّة السَّمع[2]، ويُطلَق الصَّمم أيضًا على السَّدِّ، تقولُ: صممتُ القارورةَ، أي: سددتُها[3]، ويوصف بالصَّمم من لا يصغي إلى الحقِّ ولا يقبلُه، كما في قول الله تعالى: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: 171][4]، كأنَّه فاقد لحاسة السَّمع، فيكون الأصمُّ مَن لا يهتدي إلى الحقِّ، وإطلاق الصَّمَمِ عليه مِن باب التَّجوُّزِ، فيكون مِن صَمَمِ العَقْلِ لا الأذن[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 214، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 300.
(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة: (صم).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (صمم).
(4) الرّاغب، المفردات: (صمم).
(5) جمال الدّين الفتني، مجمع بحار الأنوار: (صمم).

و﴿ٱلصُّمَّ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ مَن لا سَمْعَ لَهُ ولا إصْغاءَ.

2) ﴿مُدۡبِرِينَ﴾: (دبر) تدور اشتقاقاتُها على آخِر الشَّيء وخَلْفِه، وهوَ ضِدُّ قُبُلِه[1]، ودُبُرُ كُلِّ شَيْءٍ: عَقِبُه ومُؤَخَّرُه، والجمعُ: أَدْبارٌ، ومِنْهُ دُبُرُ الشَّهْرِ، وهوَ آخِرُهُ، يُقالُ: جِئْتُكَ دُبُرَ الشَّهْرِ، ومِنْهُ أيضًا: دابِرُ الشَّيءِ، وهو آخِرُه، وفي القرآن الكريم: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ﴾ [الأنعام: 45]، أي: اسْتُؤْصِلَ آخِرُهم[2]، ويُقال: قطَعَ اللّهُ دابِرَهم، أي: آخِرَ مَن بَقي منهم، ويقال: أدبر؛ إذا أَعْرَض، وولَّى دُبُرَه، قال الله سُبْحانه: ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ٢٣﴾ [المدثر: 23][3]، وقال ﷺ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣﴾ [المدثر: 33]، أي: ولَّى؛ ليذهَبَ[4].

ومعنى ﴿وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾: ولَّوا إليك ظُهورَهُم، وانصرفوا عنكَ، ولم يبقَ أملٌ في رجوعهم[5].

3) ﴿ضَلَٰلَتِهِمۡۖ﴾: (ضلّ) تدلُّ تصريفاتُهما على مَعنى الضَّياع والعدول عن القصد[6]، والضَّلال: هو العدول عن الطَّريق المستقيم، وهو ضدُّ الهدايَةِ، قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الإسراء: 15]، فيُطْلَقُ الضَّلال على كلِّ عدول عن الحقِّ، عمدًا كان أو سَهْوًا، يسيرًا كان أو كثيرًا[7]، ويُطلق الضَّلال على الانفلاتِ والذَّهاب، يقال: ضلَّ هو عَنّي ضلالًا وضلالةً، أي: ذهب، وأضلَّ فلانٌ فرسَهُ: ذهب عنهُ، وانفلت[8]، ويطلقُ الضَّلال على الهلاك[9].

والضَّلالةُ في قولِ الله تَعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ﴾ مستعارةٌ لعدمِ إدراك الحقِّ[10].

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة: (دبر).
(2) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (دبر).
(3) الرّاغب، المفردات: (دبر).
(4) الخليل، العين: (دبر).
(5) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّريّ الجامع: 21/ 76.
(6) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضل).
(7) الرّاغب، المفردات: (ضلّ).
(8) الزّبيديّ، تاج العروس: (ضلل).
(9) الجوهريّ، الصّحاح: (ضلل).
(10) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 37.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الإعْـــراضُ عَـنِ الحَقِّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْـبـابِ عَـدَمِ الاهْتِداءِ

إنَّك - أيُّها الرَّسول الكريمُ - لا تَقْدِرُ أن تُسْمِع الحَقَّ مَن طبعَ اللهُ تعالى عَلى قَلْبِه، فأماتَهُ؛ لأنَّ اللهَ قَد ختمَ عليهِ ألّا يفهمَهُ، ولا تُسمِع دعوتَك مَن أصمَّ اللهُ سُبحانَهُ سمعَه عَن سماعِ الحَقِّ عندَ إعْراضِهم عنكَ، فإنَّ الأصَمَّ لا يَسْمَعُ الدُّعاء؛ إذا كان مُقْبِلًا، فكيفَ إذا كان مُعْرِضًا عنهُ مولّيًا مُدْبِرًا؟!.

وما أنتَ - أيُّها الرَّسول الكريمُ - بهادٍ عنِ الضَّلالة مَن أعماهُ اللهُ ﷻ عنِ الهُدى والرَّشاد، ولا يُمْكِنُك أن تُسمع إلّا مَن يصدِّق بآياتنا، فهم مُسْلِمون مُطيعون، فإنَّ هؤلاءِ الذينَ يَسْمَعونَ مِنْكَ ما تَقولُهُ، ويَتَدَبَّرونه، ويُفَكِّرون فيه، ويعملونَ بمقتضاهُ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فَصْلِ الآيةِ عَمّا قَبْلَها:

الإعْـــراضُ عَـنِ الـحَـقِّ حـاصِـلٌ بِـسَـبَـبِ تَـقْـصيرِ المُعْرِضِ لا بِسَبَبِ خَفاءِ الحَقِّ

فُصِلَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ عمّا قبله؛ لوقوعه استئنافًا بيانيًّا[2]، فإنَّ هذه الجملةَ واردةٌ جوابًا عن سُؤال يُفهم مِنَ الجملةِ التي تقدَّمتها، وذلك لأنَّ اللهَ تعالى لمّا أمر نبيَّه الكريمَ ﷺ بالتَّوكُّل عليه، وبيَّن له أنَّه على الحقِّ الواضح البيِّن الذي لا خفاءَ فيه بوجْهٍ مِنَ الوجوهِ؛ أَوْرَثَ ذلك في نفسِ المُتَلَقّي سُؤالًا، وحاصلُهُ: إذا كان الحقُّ بهذه المنزلةِ مِنَ الوضوحِ والظُّهور، فَلِم أعرَضَ مَن أعرض عن هذا الحَقِّ؟ فجاء الجواب في قولهِ سُبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ لبيان أنَّ إعراضَهم كان بسببٍ منهم لا بسبب تقصيرٍ من الدّاعي إلى الحقِّ.

دلالة (إنَّ) في الآية:

وصُدِّر قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ بـ (إنَّ)؛ للدَّلالة

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 495 - 496، ونخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص: 384.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 34.

رسـول الرَّسـول ﷺ سـيِّـد المتوكِّلين

على التَّعليل لما تضمَّنَهُ الأمر بالتَّوكُّل، فهو تعليلٌ آخرُ بعد التعليلِ المتقدِّم في قوله: ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾[1]، "وجههُ: أنَّ الأمر بالتَّوكُّل جُعِل مسبَّبًا عمّا كان يغيظ رسولَ اللّهِ ﷺ من جهةِ المشركين وأهلِ الكتابِ، من تركِ اتِّباعه وتشييع ذلك بالأذى والعداوة، فلاءَم ذلك أن يُعَلَّل توكُّل متوكِّل مثله، بأنَّ اتِّباعهم أمرٌ قد يُئِسَ منه، فلم يبقَ إلّا الاستنصارُ عليهم لعداوَتِهم واستكفاءِ شُرورِهم وأذاهُم"[2].

سِرُّ اخْتيارِ لَفْظِ الإسماعِ مادَّةً وصيغَةً:

شِـدَّةُ حِـرْصِ النَّبيِّ ﷺ عَلى هِدايَةِ الخَلْقِ

آثر النَّظمُ القرآنيُّ لفظ الإسماع في قول الله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ لعلَّةٍ تتعلَّق بمادَّتها وصيغَتِها؛ فأمّا مادَّتُها؛ فهي تدلُّ على إبلاغ الكلام إلى السّامع[3]، وتشير بالتَّبع في هذا السّياقِ إلى ما بذله النَّبيُّ ﷺ لإبلاغ هؤلاء ما أوحي إليه، حتّى يصلَ المقصودُ إلى وعيهم، فيهتدوا به.

وأمّا صيغتُها؛ فقد وردَت بصيغةِ الفِعْلِ المُضارع المنفيِّ: ﴿لَا تُسْمِعُ﴾، وذلك دالٌّ على الاستمرارِ، والمقصودُ اسْتِمْرارُ النَّفي لا نفيُ الاسْتِمْرار، وفيه إيماءٌ إلى شدَّة حِرْصِ النَّبيِّ ﷺ على إسماع الحقِّ كلَّ مَن قَدِرَ على إسماعِه، حتّى أعلمَهُ اللّه سُبْحانه بأنَّه لا يَقْدِرُ على إسْماع أصنافٍ مِنَ النّاس.

بَلاغَةُ الاسْتِعارَةِ في لَفْظِ ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾:

عَـدَمُ انْـتِـفـاعِ المُـعْـرِضـيـنَ بِـفُـهـومِـهِـمْ ومَشاعِرِهِمْ

في التَّعبير عَنِ المُعْرِضين بـ ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾ استعارةٌ بديعة، فقد شُبِّهوا بالموتى مِن جهة فَقْدِ الإحساسِ والوعي، والحالُ أنَّ الحقَّ يطرق آذانَهم، ولم يتأثَّروا به[4]، ولم يَنْتَفعوا بمَشاعِرِهم الَّتي هيَ في غاية

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 34.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 383.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 20/ 34.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 300.

الصِّحَّة، فصاروا كالأَمْوات[1]، ولَم يَفْقَهوا ما في الآياتِ مِنَ الحقِّ، فصاروا بلا قُلوبٍ تَعْقِل[2].

والاستعارةُ في الآية تصريحيَّة تبعيَّة، وفيها تصويرٌ بديع لِعِظَم إعْراضِهم بسبَبِ تَعْطيلِهم آلاتِ الانتفاعِ، وسدِّهم طُرُقَ الاهتداءِ.

نُكْتَةُ إطْلاقِ فِعْلِ ﴿تُسْمِعُ﴾ عَنِ المَفْعولِ الثّاني:

عَـدَمُ انْـتِـفـاعِ المُـعْـرِضِ بِـشَيْءٍ مِنَ الحَقِّ

حُذِفَ مفعولُ فِعْلِ ﴿تُسْمِعُ﴾ مِنْ قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ فلم يُقيَّد بمفعولٍ ثانٍ خاصٍّ، وذلك للإيماء إلى العموم؛ لأنَّ حذفَ المعمولِ مُؤْذِنٌ بذلك، والمَعْنى: لا تُسمِعُ هَؤلاء الذين هُم بمنزلةِ المَوْتى أيَّ شيءٍ؛ لعدَم انْتفاعِهم بِشَيْءٍ مِن حواسِّهم ومشاعِرِهم، كما أَنَّ الميِّتَ حقيقةً لا يُمْكِنُه أن يَسْمَع شيئًا، ولا يَفْقَهه[3]، فلم يُذكر مفعولٌ به خاصٌّ؛ لئلّا يوهِم التَّقييد به، وأنَّهم يُسمَعون ما عداهُ.

عِلَّةُ وصْلِ جُمْلَةِ ﴿وَلَا تُسْمِعُ﴾ بِما قَبْلَها:

بَـيـانُ دَرَجـاتِ الإعْـراضِ عَـنِ الحَقِّ

وُصِلَ قولُ الله تعالى: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ بما قبله؛ لِما بينَ الجُمْلَتَيْن من التَّوسُّط بين الكمالَيْن، وذلكَ لأنَّ قولَه سُبحانَهُ: ﴿لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ جملة خبريَّةٌ، وقولَهُ تعالى: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ كذلك، وبينهما مناسبَةٌ؛ وذلك أنَّ كِلتا الجُمْلَتَيْن يُصوِّر حالَ المُعْرِضين في عدَمِ انْتفاعِهم بِشَيْءٍ مِنَ الحقِّ، وبين الجُمْلَتَيْن مناسباتٌ لفظيَّة، وهيَ: أَنَّ كِلتا الجُملتين فِعْليَّة مَنْفيَّة، فِعْلُها مضارعٌ، واتحدتا في المُسْنَد إليه، فهذه المناسباتُ تُقَوّي الوصلَ، وتُرَشِّحُه.

وجملةُ ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ واردةٌ في مَعْرِض تَعداد درجاتِ الإعراضِ عَنِ الحقِّ، فجعلهم في حُكْمِ الأموات؛ لأنَّهم لم ينتفعوا بما يَطْرُق أسماعَهم بالعشيِّ والإبكار من آيات العزيز الجبّار، وعلى

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 214.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 35.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 300.

فرض عدِّهم من جملة الأحياء، فهم كالصُّمِّ الذين لا يسمعون ما يقال له، فعبَّر عن هذه الحال بقوله: ﴿وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾، أي: ولا تُسْمِعُ مَن بِه صَمَمٌ.

بَلاغَةُ الاسْتِعارَةِ في لَفْظِ ﴿ٱلصُّمَّ﴾:

مَن لَمْ يَسْمَعْ آياتِ القُرآنِ سَماعَ انْتِفاعٍ؛ يَتَعَذَّرُ مِنْهُ الانْقيادُ لَها

في قولِ اللهِ سُبْحانه: ﴿وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ استعارةٌ تصريحيَّة، فقد شُبِّه المُعْرِضونَ بالصُّمِّ في انْتِفاءِ أثَرِ البَلاغَةِ القُرآنيَّة لألفاظِه عَن نُفوسِهم[1]، والأصمُّ لا يسمع النِّداء أصالةً، ولا يستجيبُ لِمن يُخاطبه تبعًا، وكذلك هؤلاء المعرضون لا يتأثَّرون لبلاغة القرآنِ الكريم، وما تضمَّنته آياتُه مِنَ المَواعظ الزَّواجر، ولا ينقادون للحقِّ الذي دلَّ عليه القرآنُ الكريم.

تَوْجيهُ القِراءاتِ في ﴿وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾:

التَّكامُلُ الدِّلاليُّ لِلقِراءاتِ القُرْآنيَّةِ

قرأ ابنُ كثير: ﴿وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ﴾[2]، ووجه ذلك أنَّه إخبارٌ عن هؤلاء بأنَّهُ لا سماعَ لهم، فجُعِلوا فاعِلين، فكما أنَّ الأصَمَّ لا يَسْمَعُ ما يُقال لهم، فكذلك هؤلاء لا يَنْتَفعون بما يُقال لهم ممّا يبلِّغهم به الرَّسول ﷺ مِنَ الوَحْي.

وقرأ باقي العشرَة: ﴿وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾[3] على أنَّهُ خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ، وأنَّه لا يقدر على إسماعهم؛ لأنَّهم صُمٌّ[4].

وفي اختلافِ القراءتين تكامُلٌ في الدِّلالة، فَهُم صُمٌّ لا يَسْمَعونَ، ولا يتأتَّى منكَ إسماعُهُمْ.

دِلالَةُ تَعْليقِ الشَّرْطِ بِـ ﴿إِذَا﴾:

الإعْراضُ عَنِ الحَقِّ حالٌ غالِبَةٌ لَهُمْ

عُلِّقت جملةُ: ﴿وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ بشرط التَّولّي على وجه الإدبار، وذلك بأداة الشَّرْطِ ﴿إِذَا﴾، فقال سُبحانه: ﴿وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 34 - 35.
(2) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 339.
(3) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 339.
(4) مكّي بن أبي طالب، الكشف: 2/ 166 - 167.

﴿إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾، وذلك لأنَّ (إذا) تدلُّ على الجزم بوقوع مدخولها، بخلاف (إنْ)؛ فإنَّها تدلُّ على الشَّكِّ في وقوع مدخولها، ولذلك تدلُّ على ما كان قليلًا نادرًا، وفي تعليق الشَّرط المذكور في الآية بـ ﴿إِذَا﴾ دلالةٌ على أنَّ إعراضهم هو المقطوع به، وهو الغالب على حالِهم، فالتَّولّي عن سماع الحقِّ ليس مِمّا صدَرَ مِنْهُم مرَّة أو مرَّتين، بل كُلَّما قوبلوا بالحقِّ أَعْرَضوا، وتَوَلَّوا، وهذا مِنْهُم في غايةِ الانْحِرافِ والعِنادِ.

دِلالَةُ التَّقْيِيدِ بِـ ﴿وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾:

شِدَّةُ نُفورِ أَهْلِ الـبـاطِـلِ مِـنْ سَماعِ الحَقِّ

قُيِّدَ عدَمُ إسماعِ الصُّمِّ بقولِه: ﴿وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾، وهو إتمامٌ لصورةِ التَّشبيهِ وتأكيدٌ لحال الصَّمَم، وهذه الحالُ المذكورةُ - وهي حال تولّيهم مُدْبِرين - أوغَلُ في انْتِفاء إسْماعِهم، وذلك لأنَّ مَن به صممٌ إذا كان مواجِهًا للمتكلِّم قد يَسْمَعُ بعضَ الكلام بالصُّراخ ورفع الصَّوت، ويستفيدُ بَقِيَّتَهُ بحركةِ الشَّفتين، فأمّا إذا تَولّى؛ فإنَّه يكون قد ابتعدَ عن الصَّوت، وإذا كان تولّيه على وجهِ الإدْبار لا على وجهِ القَهْقَرى لَم يَلْحَظ حركةَ الشَّفتين، فكانَ مَن هذا حاله ممّا يتعذَّر إبلاغُهُ[1].

عِلَّةُ وصْلِ جُمْلَةِ ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ بِما قَبْلَها:

بَيانُ دَرَجَةٍ أُخْرى مِـنْ دَرَجـاتِ الإعْـراضِ عَـنْ هَدْيِ الإسْلامِ

وُصِلَ قولُ الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ﴾ بالجملة قبله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ لِما بينهما من التَّوسُّط بين الكمالين، وذلك لأنَّ الجملتين خبريَّتان، وبينهما مناسبة معنويَّة ولفظيَّة، فأمّا المعنويَّةُ؛ فهي أنَّ قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ﴾ واردٌ لبيان درجةٍ أخرى من درجات الإعراض عن الحقِّ، فهو مواصلة لما تقدَّم تقريرُهُ، وأمّا المناسبة اللفظيَّةُ؛ فكلتا الجملتين اسميَّة منفيَّةٌ، وقد اشتركتا في المسند إليه، فكانت هذه محسِّنةً للوصلِ ومقويَّةً لَهُ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 35.

فالآيةُ الكريمة شَبَّهت حالَ هؤلاء المُعْرضينَ بالعُمْيِ في انتفاءِ التَّمييز بينَ طريق الهُدى وطرُق الضَّلالة؛ لعدم اتِّباعهم هديَ الإسلامِ[1].

دِلالَةُ النَّفْيِ بِـ (ما):

عِـظَـمُ حِـرْصِ النَّبيِّ ﷺ عَلى هِدايَةِ النّاسِ

جاء النَّفي في قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾ بـ (ما)؛ تقويةً وترشيحًا لهذا النَّفي، وذلك لأنَّ (ما) في النَّفي آكدُ من (لَم)؛ وذلك لأنَّها تقع جوابًا للقسم، بخلاف (لم)، ومناسبة التَّأكيد هَهُنا: هو أنَّ المقام مشعِرٌ ببقيَّة حرص النَّبيِّ ﷺ على هداية هؤلاء مع ما تقدَّم مِنْهم من شدَّة الإعراض - لعظم شفقتهِ ﷺ - فناسبه هذا التَّأكيدُ لقطعِ هذه البقيَّة من الحرص، والحُكمِ على هؤلاء بأنَّهم لا يهتدون[2].

مَعْنى الباءِ في ﴿بِهَٰدِى﴾ ودِلالَتُها:

بَيانُ بَلاغِ النَّبيِّ ﷺ وضَـلالِ المُنْحَرِفينَ عَنِ الحَقِّ

الباء في ﴿بِهَٰدِى﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾ يُراد بها توكيدُ النَّفي وتقويتُهُ، فيكون تأكيدًا بعد تأكيدٍ؛ إذ النَّفي بـ (ما) فيه ضرب من التَّقوية، ورُشِّح هذا التَّأكيد بالباء، تثبيتًا للمعنى الذي تضمَّنته الجملةُ مِن عدم هدايةِ العُمْيِ وردِّهم عن ضلالتهم؛ قطعًا لبقيَّة ذلك الحِرص الذي كانَ عندَ النَّبيِّ ﷺ مِن هدايةِ هَؤلاءِ، وتسليةً له ﷺ من أنَّ انحراف هؤلاء وضَلالهم إنَّما كان بسببٍ منهم لا بسببِ تقصيرٍ منهُ ﷺ.

تَوْجيهُ القِراءاتِ في ﴿بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾:

التَّكامُلُ الدّلاليُّ لِـلـقِـراءاتِ القُرْآنيَّةِ

قرأ حمزة ﴿تَهْدِى﴾ بالتّاء المفتوحة، وإسكان الهاء من غير ألف، على أنَّه فعل مضارع، و﴿ٱلْعُمْىَ﴾ بالنَّصب، وقرأها الباقون ﴿بِهَٰدِى﴾ بالباء المكسورة، وبهاء مفتوحة وبعدها ألف، و﴿ٱلْعُمْىِ﴾ بالجرِّ[3].

فأمّا قراءة الجمهور ﴿بِهَٰدِى﴾؛ فعلى أنَّ (هاديًا) اسمُ فاعل،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 35.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 37.
(3) ابن الجزري، النشر: 2/ 339.

و﴿ٱلْعُمْيِ﴾ مضاف إليه، من باب إضافة اسم الفاعل لمفعوله[1]، وفي التَّعبير بنفي الاسم مزيدُ تأكيدٍ وعنايةٍ بمضمون ما نُفيَ في الجملةِ، ومُبالغة في النَّفي[2]، ووجه المبالغة أنَّ هذا النَّفي يدلُّ على امتناعِ جِنْسِ هدايةِ هؤلاء عن النَّبيِّ ﷺ، فهداية هؤلاءِ ممتنعَةٌ غايةَ الامتناع، والمعنى: ليسَ في وسعك إدخالُ الهدى في قلب مَن عَميَ عن الحقِّ، وأعرضَ عنه، ولم يتأمَّلْهُ حقَّ التَّأمُّلِ[3].

وأمّا قراءة حمزة بالفعل المضارع ﴿تَهْدِى﴾؛ فعلى أنَّه فعلٌ مضارعٌ، وهو دالٌّ على الاستمرار بالقرينة - كما في هذا السّياق - والمقصود: استمرار النَّفي لا نفي الاستمرار، وذلك لأنَّ مَن ذُكر بعدُ لا تَتَأَتّى هدايتُهم أبدًا ما داموا مُقيمين على عَمى الصَّدِّ والإعراضِ، والقِراءَتان مُتواتِرتانِ، مُتقارِبَتان في المَعْنى، مُتكامِلَتان في الدِّلالة[4].

بَلاغَةُ الاسْتِعارَةِ في لَفْظِ ﴿ٱلْعُمْيِ﴾:

عُبِّرَ عن المعرضين في الآية بـ ﴿ٱلْعُمْيِ﴾، في قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾، وفي ذلك استعارةٌ بديعةٌ، وهي استعارةٌ تصريحيَّة تبَعيَّة؛ إذْ إنَّ الأعمى لا يُبْصِر، فإذا سلك طريقًا؛ فإنَّه لا يهتدي لسبيله، فيضلُّ، ويضيع، وكذلك حالُ هؤلاء المعرضين عن الحقِّ؛ فإنَّهم لا يميّزون بين هُدًى وضلالٍ؛ لتعطيلهم النَّظرَ بالقلوبِ إلى الحقِّ، فلن يهتدوا سبيلًا، ولا تتأتّى الهدايةُ إلّا بالإبْصار[5]، ولمّا كانوا لا يهتدونَ إلى سَبيلِهم؛ فإنَّ مآلَهم الضّياع، كحالِ الأعمى في سَيْرِهِ؛ إذا بقي بلا دليلٍ يُرشدُهُ.

لا طَـريـقَ إلى الهِدايَةِ إلّا بِنَظَرِ القَلْبِ إلى الحَقِّ

(1) محمّد سالم محيسن، المغني في توجيه القراءات العشر: 3/ 112 - 113.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 300.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 268.
(4) ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 18/ 118.
(5) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 167.

بَلاغَةُ تَكْريرِ التَّشْبيهِ:

تَشْنيعُ حالِ المُعْرِضينَ عَنِ الحَقِّ

اشتملتِ الآيتان الكريمتان تشبيهًا متكرِّرًا، فقال سُبحانَهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾، فشُبِّهَ المعرضون بالمَوْتى والصُّمِّ والعُمْي، فأمّا تشبيهُهم بالموتى؛ فلمَوْتِ قلوبهم عن النَّظر إلى الحقِّ وعدم إعمالِ مَشاعِرهم، وأمّا تشبيهُهم بالصُّمِّ؛ فلِعَدَم انتفاعِهم بما تُؤَثِّر فيه آياتُ القرآنِ - وما اشتملت عليه من بلاغةٍ - في الأسماع والقلوبِ، وأمّا تشبيهُهم بالعُمْي؛ فلعَدَمِ إبْصارِ قُلوبِهم الحقَّ وترك تأمُّلهم فيه.

وفي تَكرار هذا التَّشبيه - مع أنَّ المقصودَ واحدٌ، وهو عدم انتفاعهم بالهُدى والحقِّ - مبالغَةٌ في تشنيعِ حالهم بإيراد الصّورة تِلوَ الصّورة تقبيحًا لشأنِهم[1]، فلم تكن حالُهم حالَ الميّت؛ إذ هم في الحقيقةِ أحياءٌ، ولم تَكن حالُهم حال الصُّمِّ؛ إذ لديهم آذانٌ تُدركُ الأصواتَ، ولا حال العمي؛ فإنَّ لهم أعينًا، لكنَّهم لم ينتفعوا بشيء من ذلك، فاجتمع فيهم من تَبَلُّد الحسِّ، وفقدان الوعي، وعطب الحواسِّ، ما يأَس من اهتدائهم[2]، ولتَكْرارِ هذهِ المعاني نَظائِرُ، كالوارد في قول الله ﷻ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: 179]، فقد اجتمع فيهم عدمُ فقهِ القلوب، وعدمُ سَمْعِ الآذان، وعدَمُ إبْصارِ الأَعين، فأنّى لهم أن يهتدوا؟.

مَعْنى ﴿عَن﴾ ودِلالَتُها:

وَظيفَةُ النَّبيِّ ﷺ الهِدايَةُ إلى الحَقِّ، والرَّدُّ عَنِ الضَّلالَةِ

عُدّي فعلُ الهداية في الآية الكريمةِ بحرف الجرِّ ﴿عَن﴾، في قولِ الله سُبْحانه: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾؛ لأنَّ فعل

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 36.
(2) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 20/ 19.

الهدايَةِ ضُمِّن معنى الصَّرف والرَّدِّ، والمَعْنى: وما أنتَ بهادي العُمْي ولا رادِّهم أو صارفِهم عَن ضَلالَتِهم، وهذا التَّضمينُ مُلائِمٌ للسّياق، والمعنى: ما أنتَ بهادٍ هدايةَ التَّوفيقِ، وإنَّما أنتَ مُبَلِّغ، وما أنتَ برادِّ العُمْي عَن ضَلالَتِهم إلى ما تَقْتَضيهِ الفِطَرُ، وإنَّما أنتَ نَذيرٌ[1].

واخْتيرَ لفظُ الهدايَةِ؛ ليُجمَع له ﷺ بين وظيفَتَيْن؛ إحْداهُما: هدايةُ الخَلْقِ إلى الحقِّ؛ لأنَّ نفيَ هدايته مَنْ عَمي عنِ الحَقِّ بسبَبِ إعراضِه، يَقْتَضي بالفَحْوى ثبوتَ هدايته لغَيْرِ هؤلاء، والأخرى: الرَّدُّ عن الضَّلالة والإرجاعُ إلى أصلِ الفِطْرَة[2].

عِلَّةُ فَصْلِ جُمْلَةِ ﴿إِن تُسْمِعُ﴾ عَمّا قَبْلَها:

فُصِلَ قولُ الله تعالى: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ عمّا قبله؛ لوقوعه استئنافًا بيانيًّا، وذلك لأنَّ هذه الجملةَ واردَةٌ جوابًا عَن سؤالٍ يُفهمُ مِنَ الجُمْلة المُتَقدِّمة، وذلك لأنَّ الله تعالى لمّا بيَّن أنَّ النَّبيَّ ﷺ لا يَهْدي العُمْيَ، ولا يَرُدُّهم عن ضَلالَتِهم إلى ما تَقْتَضيهِ الفِطرةُ السَّليمة؛ أورثَ ذلكَ سُؤالًا في نَفْسِ المُتَلَقّي، وحاصله: فمَنِ الذي يهتدي بهُدى القرآنِ الكريم؟[3] فجاء الجوابُ في قول الله سُبْحانَه: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾.

أَهْلُ الإيمانِ سامِعونَ الحَقَّ مُنْقادونَ لَهُ

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿تُسْمِعُ﴾:

جاء التَّعبيرُ بالفعلِ المُضارع، في قولِ الله سُبحانه: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾؛ للدَّلالةِ عَلى التَّجدُّد والاستمرار، فَفيهِ إيماءٌ إلى دوامِ النَّبيِّ ﷺ على الدَّعوة إلى الحقِّ، وفيه مدحٌ لِمَن يسمَعُ إبلاغَ النَّبيِّ ﷺ؛ لأنَّه مداومٌ على هذا الانتفاعِ بالحقِّ الذي يسمعُهُ منَ النَّبيِّ ﷺ ومُسْتَمِرٌّ عليهِ، فكانَ في التَّعبير بالفعل المضارع ﴿تُسْمِعُ﴾ مدحٌ للدّاعي والمدعوِّ معًا.

الثَّناءُ عَلى الدّاعي إلى الحَقِّ والمُنْتَفِعِ بِهِ

(1) محمد نديم فاضل، التضمين النحوي في القرآن: 2/ 278.
(2) محمد نديم فاضل، التضمين النحوي في القرآن: 2/ 278.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 37.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِالإسْماعِ دونَ الهِدايَةِ:

سَماعُ الآياتِ القُرْآنيَّةِ طَريقٌ لِلاهْتِداءِ

جاء التَّعبيرُ في الآيةِ بالإسْماعِ دونَ الهِدايَةِ، فقالَ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، ولَم يَرِدِ في النَّظْمِ القُرآنيِّ: (إنْ تَهْدي إلّا مَن يُؤْمِن)، ونُكْتَةُ ذَلِكَ: الإشارَة إلى الهداية بذِكْرِ سَبَبِها الأعظَمِ، وهو الإسْماع[1]، فإسْماعُ الآياتِ التَّنزيليَّة هوَ طريقُ الهِداية[2]، فإذا أَلْقى المُؤْمِنُ سَمْعَهُ للآياتِ؛ انْتَفَع بها، واهتدى بسَبَبِها، ولذا قال رَبُّنا سُبْحانَه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: 37]، وفي ذِكْرِ الإسْماعِ أيضًا تأكيدٌ على أداءِ النَّبيِّ ﷺ ما وُكِل إليهِ مِن تبليغِ الشَّريعة.

بَلاغَةُ القَصْرِ بِـ ﴿إِن﴾ و﴿إِلَّا﴾:

الحَثُّ عَلى التَّجَرُّدِ مِنَ الصِّفاتِ المانِعَةِ مِنْ قَبولِ الهُدى

في قول اللّه تعالى: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أسلوبُ قصرٍ، والغرضُ منه إظهارُ مزيدِ التقابلِ بين الصِّنفين: أحدهما المذكور في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾، والمعنى: ما أنت بمسمعٍ هؤلاءِ، والصِّنف الآخَرُ: هو المذكورُ هَهنا في قولِه سُبْحانَه: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، والمعنى: الذين مِن شَأْنِهم الإيمانُ بالآياتِ، وهُم الَّذين ليسوا مَوْتى ولا صُمًّا ولا عُمْيًا، دون هَؤلاءِ المُكذِّبين[3].

وجاء القصرُ بأسلوبِ النَّفْي والاستثناءِ، وهو أَعْلى طُرُقِ القصر وأقواها؛ وذلك للتنبيه على الحقيقةِ المذكورةِ في جملة القصرِ، والحثِّ على اكْتِسابِ صفةِ الإيمانِ والتَّجرُّد مِن العِناد والإعراضِ؛ ليَحْصُلَ الانتفاعُ بالآياتِ والاهتداءُ بها.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يُؤْمِنُ﴾:

كُلَّما تَرَقّى العَبْدُ في مَنازِلِ الإيمانِ؛ عَظُمَ انْتِفاعُهُ بِالقُرْآنِ

آثر البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بالفِعْلِ المُضارع ﴿يُؤْمِنُ﴾ في قول اللّه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 37.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 300.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 231.

ﷻ: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ للدَّلالة على أنَّ المنتفِعَ بالآياتِ تمامَ الانتفاعِ هو مَن تجدَّد له الإيمانُ، وتَرَقّى في مراتبهِ ومنازِلِهِ، واسْتَمَرَّ عليهِ، وداوَم.

والتَّعبير بالفعلِ المضارع أيضًا يُعمِّم الدَّلالةَ، ويوَسِّعها؛ فيدخُلُ فيهِ مَن آمَن في الحالِ، ومَن يُؤْمِنُ في المُسْتَقْبَل[1]؛ لأنَّ الفعلَ المُضارِعَ صالِحٌ للدِّلالَتَيْنِ معًا.

دِلالَةُ جَمْعِ الآياتِ في ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾:

عَظَمَةُ آياتِ اللهِ تَعالى وكَثْرَتُها وتَنَوُّعُها

جاءَ ذِكْرُ الآياتِ جَمْعًا في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾؛ للدَّلالة على كثرةِ الآيات وتنوُّعِها، وجَمْعُها دالٌّ أيضًا على عَظَمَتِها، ولذا أُضيفَت إلى ضَميرِ العَظَمَة (نا) العائدِ على اللّهِ سُبْحانَه.

وفي هذا الجمعِ تعريضٌ بالمُكَذِّبين؛ حيثُ كَذَّبوا بِما تكاثَرَت أدِلَّتُه، وتنوَّعت أضربُهُ، وعَظُم قَدْرُه.

والمقصودُ بالآياتِ مواعِظُ اللّهِ سُبحانَهُ الَّتي لا تُسمع إلّا للمؤمنين الَّذين يُصْغون إلى أدلَّة التَّوحيدِ، ويتشرَّبون الهدايةَ والنّورَ، وينتفعون بها[2].

مَعْنى الفاءِ في ﴿فَهُم﴾ ودِلالَتُها:

الانْقِيادُ للحَقِّ أثَرٌ مِنْ آثارِ الإيمانِ

الفاءُ في ﴿فَهُم﴾ من قول اللّه تعالى: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ سببيَّةٌ[3]، سبَّبت الإسلام عن استماعهم للآيات، والمعنى: أنَّ هؤلاء يحصل لهم الإسلام بسبب استماعهم لآيات اللّه وانتفاعهم بها.

ويُحتمل أن تكون الفاءُ فصيحةً[4]، وهي التي تُفصِحُ عن محذوفٍ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 231.
(2) مأمون حمّوش، التّفسير المأمون: 6/ 63.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 215.
(4) محيي الدّين درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 255.

مقدَّرٍ، والمعنى: فإذا استمعوا إلى هذه الآيات؛ فهم مسلمون، أي: وقع انتفاعهم بالآيات عقب سماعها.

وفي الفاء أيضًا معنى التَّفريع؛ وذلك لأنَّ اللّهَ ذكر أنَّ النّاسَ قسمان: مَن طبع الله تعالى على قلبِه، وعلم منه أنَّه لا يُؤْمِنُ حتّى يهلك على الكفرِ، والآخر: مَن عَلِمَ اللّهُ سبحانه منه الإيمانَ، ولَو قبلَ مَوتِه؛ فُرِّع على الصِّنفِ الثّاني قولَه: ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ المفيد للدَّوام والثَّبات؛ لأنَّهم إذا آمنوا؛ فقد رسَخ الإسلامُ فيهم، وتمكَّن منهم، وكذلك الإيمانُ حين تخالِطُ بشاشَتُه القلوبَ[1].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالجُمْلَةِ الاسْميَّةِ:

بَيانُ دَرَجاتِ اسْتِجابَةِ المُؤْمِنينَ وانْقيادِهِمْ

آثر النَّظْمُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بالجُمْلة الاسميَّةِ في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ دونَ الجملةِ الفعليَّة؛ لدلالة الجملةِ الاسميَّة على الثُّبوتِ، فكان قولُهُ تعالى: ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ مفيدًا دوامَ إسلامِهم وثباتَهُ في قُلوبِهم[2]، فمَن آمَن بآياتِ ربِّه؛ زادَهُ ذلك انقيادًا لربِّه سُبحانه في كلِّ حينٍ، ورسوخًا وتمكُّنًا، وتدرُّجًا في درجاتِ الإسلامِ للّه تَعالى.

نُكْتَةُ اخْتيارِ لَفْظِ ﴿مُّسْلِمُونَ﴾:

مُقابَلَةُ حالِ المُسْتَسْلِمينَ بِحالِ المُعْرِضينَ

اختار البيانُ القُرآنيُّ لفظَ الإسلامِ، في قولِ اللّه تَعالى: ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ دون لفظ (مُؤْمِنونَ) أو (مُهْتَدونَ)، وذلك لِدلالَةِ لفظِ الإسلامِ عَلى الاسْتِسْلامِ لأمْرِ اللّه ﷻ والانقياد لَهُ، وهذا أَنْسَبُ في تحقيقِ المُقابلة بينَهُم وبينَ المُعْرِضين عنِ الحقِّ المُعانِدين له؛ فهَؤلاءِ اسْتَسْلَموا للحقِّ، فاسْتَجابوا، وآمَنوا؛ ممّا زادَهُم هُدًى إلى هُداهُم، وأولئكَ عانَدوا، فأَعْرَضوا، وكذَّبوا؛ ممّا زادَهُم ضَلالًا إلى ضَلالِهِم.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 38.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 38.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الضَّلال والغَيّ:

الضَّلالُ والغيُّ كلاهُما عدولٌ عَنِ السَّبيل، إلّا أنَّ بينَهُما فروقًا، فالضَّلالُ: ضياع الشَّيء وذهابه في غيرِ حقِّه[1]، والغيُّ: ضلالٌ وجهلٌ عنِ اعتقادٍ[2]، فالغَيُّ أقبحُ مِنَ الضَّلال وأشنَعُ؛ لِما فيه من تعمُّد سلوك غير السَّبيل القَويم، بخلافِ الضَّلال؛ فهو أعمُّ.

الـغَـيُّ أَخَـصُّ مِـنَ الـضَّـلالِ؛ لِاخْـتِـصـاصِـهِ بِتَعَمُّدِ الانْحِرافِ وشِدَّتِهِ

ثُمَّ إنَّ الغَيَّ أخَصُّ من الضَّلال مِن وجه آخر، وهو أَنَّ الغَيَّ يُطلق على الانحرافِ الشَّديد البعيدِ، بخِلاف الضَّلال؛ فإنَّه يُستعمل في مطلقِ الانحراف قريبًا كانَ أو بعيدًا[3].

ولذلك كان الضَّلالُ ضدَّ الاهتداءِ، وكان الغيُّ ضدَّ الرُّشد، فالرُّشْدُ يدعو إلى الحكمةِ والخير والصَّلاح، بينما الغَيُّ يدعو إلى السَّفاهة والشَّرِّ والفساد، قال اللّه ﷻ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: 146].

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (ضل).
(2) الرّاغب، المفردات: (غوي).
(3) محمّد داود، معجم الفروق الدّلالية، ص: 328 - 332.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»